أحداث وعبر قراءة في كتاب:

"صفحات من ذاكرة التاريخ" لمؤلفه عمار بلخوجة

الأستاذ رمضاني حسين، جامعة تيارت

مقدمة

إن إثراء المكتبة الوطنية بالمؤلفات والدراسات التاريخية التي تمجد أرواح شهدائنا الأبرار، منذ أن وطئت أقدام الفرنسين المستعمرين سنة 1830، ومحاولة إذكاء الروح الوطنية بين فئات الشعب الجزائري، هو الواجب الأول والأخير الذي ينبغي أن يحمله الشباب الجزائري على كاهله، ويولي له أهمية كبرى في ظل تكالب الأعداء على هذا البلد الأمين. لأن التاريخ هو الذي يضمن للأمم بقائها واستمرارها.والأستاذ عمار بلخوجة هو كاتب صحفي ومؤرخ، استطاع أن يحمل هذه المهمة النبيلة ، بهدف احياء الروح الوطنية في الشباب الجزائري، ولهذا تجده يتناول العديد من المواضيع التي لها علاقة بتاريخ الثورة الجزائرية، وحتى المواضيع التي ترتبط بالفترة التي تلت مرحلة الاستقلال، وربما يعود ذلك لمهنيته الصحفية و التي قاربت ما يتراوح 40 سنة من العمل الصحفي.

لقد كتب الأستاذ كمال بوشامة في تقديم لمؤلف (صفحات من ذاكرة التاريخ) مفصحا "عمار بلخوجة الباحث والصحفي – الكاتب، يعمل إذن، باستمرار، حاملا هما بديهيا دائما، يتمثل في تخليص الجزائري من براثن التضليل الإعلامي في شأن أصولنا، وكفاحنا وثقافتنا. فهو يصارح نفسه، بإصرار، في كل (شروع في تصوير أولى المشاهد) – يفهم من هنا في بداية كل انجاز – متسائلا: ألا يجدر بنا تسليط كل الأضواء على أحداث وحوادث مجهولة من طرف الأجيال الجديدة؟ وهذا يجبره بالطبع على الوفاء للحقيقة التاريخية، لكي يتمكن كل واحد من التعرف على مكانته، واعادة بناء العالم المبهر، بل والمثير، الذي تقلب فيه الماضي الذي يعيد رسمه بذلك الحرص الذي يميز (الفضولي) المتمادي على التنقيب في الأرشيف ..."[1].

ثم يواصل الأستاذ بوشامة: "لأن التاريخ حاضر دوما عند عمار بلخوجة"[2].فإذا كان التاريخ علماً في تحريه الحقيقة والعمل على تسليط الأضواء عليها وتقديمها كما هي، فإن الباحث في هذا العلم، مطالب، إضافة إلى تمكنه من العلوم الموصلة، بإعطاء قيمة بالغة الأهمية للأصول التي هي صلته الوحيدة بالموضوع المزمع دراسته والتي هي جميع الآثار التي خلفتها عقول السلف أو أيديهم، وإذا ضاعت ضاع التاريخ معها وفقاً لنص القاعدة العامة.

ينوه الأستاذ بوشامة إلى ملاحظة مهمة بخصوص أهمية معرفة التاريخ الجزائري بالنسبة إلى شبابنا المعاصر: "من المؤسف أننا لم ندرسهم تاريخنا– أن يعلموا بأن فرنسا الاستعمارية، كما أوضح الكاتب بعناية، لم تكن جديرة بأي استحقاق حين نقضت عهدها، لأنها داست واغتصبت، غداة استسلام الداي حسين، المادة (04) من المعاهدة الموقع عليها من قبل الجنرال دو برمون. بالطبع، فقد كانت تتوق، استراتيجيا، إلى تحقيق هدف واحد ووحيد، آلا وهو ختم التاريخ، تاريخنا المجيد ..." [3].

لقد اقترف أول نقض للعهد، استخفافا بالمعاهدة وبحقوق سكان مدينة الجزائر على حد تعبير المؤرخ عمار بلخوجة[4]. فالأهداف المسطرة من طرف الدولة الاستعمارية لم تكن تسعى لتأديب الداي إثر حادثة المروحة كما هو مزعوم تاريخيا، ذلك أن الحشد الكبير الذي جلب مع الحملة العسكرية من غير المقاتلين كان يحمل في طياته عدة غايات تشير إلى رغبة هذا المحتل البقاء إلى الأبد في هذا البلد الذي ضم طوبوغرافيا إلى فرنسا، عبر إدعاء واهن جعل الواجهة البحرية لجنوب البحر الأبيض المتوسط تابعة لفرنسا.

لقد جلب الفرنسيون المحتلون معهم عتادهم الحربي وأفكارهم العنصرية، ليسودوا في بلاد لم تكن لهم إطلاقا غير أنهم استباحوا حرمتها من خلال إفراد جملة من المشاريع الإجتماعية والإقتصادية تكفل بها عملائها، من لأجل فهم عادات وتقاليد المجتمع الجزائري، يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله: "إن الحملة الفرنسية على الجزائر قد وقعت بعد ثلاثين سنة من الحملة الفرنسية على مصر، وهي الحملة التي تركت بصماتها على الشرق وجعلت الاستشراق الفرنسي ينشط في تحقيق ما عجز عليه الجيش. وسنرى أن الفرنسيين استفادوا في الجزائر من تجربتهم في مصر من عدة نواح، وخصوصا فيما يتعلق باللغة العربية"[5].

ولعل تاريخ الإستشراق خير دليل على هذه المسألة. فقد ورد في موسوعة المستشرقين للمفكر عبد الرحمن بدوي العديد من الأمثلة التي تنساق في هذ المنوال، حيث يمكننا أن نزكي ما ذهب إليه الأستاذ بلخوجة في إفراده لهذا العدد الكبير من الرجال غير المقاتلين الذين وفدوا مع السفاح دوبرمون*.

نذكر على سبيل المثال الدراسات التي أفردت للدراسة البني الإجتماعية للجزائريين، ترجمة لكتاب: (تاريخ بني زيان، ملوك تلمسان) من تأليف الإمام سيدي أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي، من طرف المستشرق الفرنسي بارجس (1810 – 1896)، (Abbé Jean – Joseph Bargas). ثن أتبع هذه الترجمة بأخرى لأبي بكر التواتي بعنوان: (الصحراء الكبرى و السودان) وقد صدر في باريس سنة 1853[6].

وهناك مستشرق آخر هو لويس جاك برنييه (Louis Jacques Bresnier) (1814 – 1869).الذي عمد إلى تولي مهمة تدريس الفرنسيين اللغة العربية في الجزائر عام 1836، حيث كوّن مجموعة من المترجمين الفرنسين الذين يحسنون اللغة العربية، وعمل هؤلاء في خدمة الإدراة الفرنسية الحاكمة في الجزائر، ويذكر بدوي أن من مؤلفات هذا المستشرق (مختارات عربية أولية) (Anthologie Arabe élémentaire) ألفه عام (1852)، ومرجع آخر بعنوان: (دروس عملية ونظرية في اللغة العربية) (Cours Pratique)، أنجزه في الجزائر عام (1855م)[7].

أما من المستشرقين الفرنسيين الذين ولدو بالجزائر، وساهموا في ترسيخ الهوية الفرنسية بكل تبجح، فمنهم جوتييه، وهو جغرافي ومؤرخ اهتم بدراسة جغرافية المغرب. فكان له من المؤلفات: (غزو الصحراء الكبرى: بحث في علم النفس السياسي) صدر في باريس عام 1910، وكتاب (الجزائروفرنسا) صدر عام 1920 وكتاب: (الصحراءالجزائرية) بالاشتراك مع روبرت شودو (R. Chudeau). ومنهم كذلك ليون جوتييه(1862 - 1949) الذي ولد في سطيف (بمحافظة قسنطينة) في 18 جانفي 1862، والذي تلقى تعليمه في ثانوية الجزائر ثم التحق بالمدرسة العليا للآداب في المدينة نفسها، والتي سيدرس فيها فيما بعد

الى جانب لومتر (Joules Lemaiter)، وموريس فاي (Waille) الذي قام بحفائر مهمة عن الآثار الرومانية في الجزائر[8].

أما جوستاف دوجا (1824 – 1894) فقد كان من المستشرقين الذين حاولوا ترجمة كتاب الأمير عبد القادر الجزائري، بهدف معرفة هذه الشخصية الفذة في تاريخ المقاومة الجزائرية، إذ شكلت شخصية هذا الأخير مصدر قلق من طرف المستعمر طيلة سبعة عشر سنة[9]. فهذه الشخصية التي سيكون لها دور تاريخي مهم في بناء القواعد الأساسية للدولة الجزائرية، حيث يضع الأستاذ عمار بلخوجة في كتابه أول صفحة من صفحات التاريخ الجزائري شخصية الأمير عبد القادر، كمقدمة أو تاريخا للملحمة حيث حدثنا عن أولى انتصاراته العسكرية والدبلوماسية في فترة قصيرة أين استطاع أن يلحق بالجنرال ديميشال هزيمة نكراء عام (1833)، مما مكنه من فرض أول ميثاق موقع عليه من طرف الفرنسيين الراضخين لشروطه الدبلوماسية، وقد كان ذلك في يوم 26 فيفري 1834. ليبسط بعد ذلك حسب المؤلف نفوذه على كل المقاطعة الوهرانية التي تمتد من سهل الشلف الى غاية الحدود المغربية[10].

ويواصل المؤلف تأريخه لملحمة الامير معربا عن شجاعته وبسالته في جميع المعارك التي خاضها، كما نوه بالحنكة الحربية و السايسية التي كان يقودها ضد فرنسا الاستعمارية وعملائها الجبناء. فقد أخضع بموجب المعاهدة الكثير من العائلات الإقطاعية التي وضعت نفسها في خدمة المحتل، تعلق الأمر كما يقول عمار بـ: "مصطفى بن سماعيل، وابن عمه المزاري، وبالغمري، بقدور بن مخفي، العربي، في الغرب الوهراني، وتعلق الأمر أيضا ، بآل فرحات بن سعيد، بن غانا في منطقة بسكرة، وبن فرحات في منطقة ثنية الحد"[11].

هذه صفحة من صفحات الخيانة التي مرت بها الجزائر الأبية، إذ كانت المؤمرات التي حيكت حول مقاومة الأمير عبد القادر، كثيرة ومتكررة مما أدى في سنة 1841 إلى تحطيم المواقع المحصنة للأمير الجزائري (تازا بوغار تاقدمت، سعيدة، معسكر)، غير أن الفرنسيين على حد تعبير عمار بلخوجة، لم يتمكنوا أبدا من الاستلاء على مدنه سليمة صحيحة، إذ سيفرغها من عتادها، ويتركها لهم نصف محروقة[12].

ورغم أن الأستاذ يشير إلى أن سياسة الأرض المحروقة التي طبقها الجنرالات الفرنسيون في عهد الأمير عبد القادر، بقيت هذه السياسة متواصلة إلى غاية 1954، فقد أسست باريس لإرهاب دولة بحق، يقول بلخوجة:"سنجده لاحقا أثناء حرب التحرير في نوفمبر 1954، المفارقة أرادت أن هذه الحضارة التي كانت تزرع الموت والرعب مجدت أمثال بيجو، سان أرنو، بيجار، ماسو، ودوغول "[13]. وربما لا يفوتنا ها هنا ما أشار إليه الدكتور كمال بوشامة من أن الوجود التركي هو ما أنتج لنا الشعور بقابلية الاستعمار التي تعتبر في الحقيقة تبريرا للعدوان، وإنما الاستعمار الفرنسي في الجزائر هو في الأساس جريمة ضد الإنسانية.

ولئن كنا قدمنا لكتاب الأستاذ عمار بلخوجة، من خلال التعرض لشخصية الأمير عبد القادر، فإننا لا نستثني إعجابنا بما قدمه من شخصيات وطنية كان لها الدور البارز في بعث الحركة الوطنية، وذلك منذ مطلع القرن العشرين، حيث أشاد بأهمية الدور الذي لعبه كل من الامير خالد حفيد الامير عبد القادر، إلى جانب تلك الرؤية الشمولية التي أولاها لكل من أحمد توفيق مدني الوطني التونسي، والأمير شكيب أرسلان (1869 - 1946)*، الذي اقترن اسمه باعمال نجم شمال إفريقيا وأوروبا على العموم، وما قيل عن علاقته بمصالي الحاج زعيم النجم ثم حزب الشعب، وعن علاقته أيضا بالشيخ عبد الحميد بن باديس وعن مراسلاته مع الشيخ الطيب العقبي باعث الفكر الإصلاحي الجديد وغيرهم من رجال الفكر والسياسة في الوطن المغاربي[14]. ودون أن ننسى الحركة الوطنية التي تأججت أواصرها مع فرحات عباس ومحفوظ قداش وآخرون، لم يكل الأستاذ بلخوجة في ابراز مواقفهم الوطنية من الاستعمار الفرنسي ومن سياسات الإدماج التي حاولت فرنسا تطبيقها على الشعوب المغاربية المستعمرة.

وقد أوضح فرحات عباس موقفه من كل ذلك: للرد على جريدة (Le Temps)، وعلى اتهامات الصحافة الاستعمارية قمت، بواسطة رفع مستوى النقاش، بتحديد نقطة عقائدية تتعلق بسياستنا (...) لقد استعمل، ووقع الافراط في استعمال، عبارة " الجزائر أرض فرنسية "، لأن أقلية قليلة من المعمرين ومن الموظفين الأوروبيين، يلوذون في تماديهم على استغلال الأهلي، بسيف فرنسا. فالحلول التي تفرض بالقوة هي دوما حلة هشة، سريعة الزوال، وهؤلاء يخادعون أنفسهم عند تحدثهم عن امتداد فرنسا، قبل أن يضم الستة ملايين

من العرب البربر بعمق إلى مكاسب الحضارة الفرنسية "[15]. كما لا ينبغي أن ننسى المناضل محفوظ قداش في حزب الشعب – الحركة من أجل انتصار الحريات الديموقراطية، حيث يعتبر هذا المناضل من الذين حاولوا الدفاع عن موقف فرحات عباي الذي شهر به على أنه من دعاة الإدماج، خاصة وأن الفكر السياسي عند هذه الشخصية الوطنية قد عرف تطورا هاما، جعلت منه رائدا محبوبا حسب وصف الدكتور عمار بلخوجة، بل وقريبا من شعبه، إذ عرف فكره السياسي نقلة هامة في عام 1938، بعد أن تخلى عن فدرالية المنتخبين وأفكارها الإدماجية[16].

من هنا يرى صاحب المؤلف أن الحركة السياسية التي بدأت في الجزائر لم تكن بمنأى عن تلك التطورات الفكرية التي شهدها العالم العربي، حتى أنه يربط بينها وبين تلك الحركات الفكرية التي ظهرت منذ مطلع القرن العشرين، وها هو الأمير شكيب أرسلان مرة أخرى " يدعو إلى ضرورة توحيد العالم الإسلامي لإعلاء سمعته. كان يطمح إلى توحيد الدول الإسلامية ضمن كونفدرالية، إذ سيبدأ تكريس فكرته بإنشاء جامعة الدول العربية في 1947، بعد وفاته وهو المدافع المرموق عن أفكار الوحدة والانعتاق بقليل "[17].يقول أبو القاسم سعد الله "فقد رأينا أن اهتمام شكيب أرسلان لقضية الجزائر بدأ منذ العشرينات عندما كان يكتب في تعاليقه على حاضر العالم الإسلامي، وحتى جريدة (الأمة العربية) وجدناها تكتب عن الإحتفال المئوي للإحتلال سنة 1830، وهي السنة التي ظهرت فيها هي إلى الوجود"[18].

كما كانت جريدة (الجزيرة) الدمشقية قد نشرت حديثا بتاريخ 06 أكتوبر 1937، لشكيب أرسلان حول الوحدة العربية، كان له ضجة سواء في المشرق أو في المغرب. ويظهر أن شكيب أرسلان قسم فيه العالم العربي إلى ثلاثة مناطق هي: مصر وسورية و العراق وفلسطين، والحجاز و اليمن و الخليج، و المغرب العربي. ويروي لنا المؤرخ أبو القاسم سعد الله أن خلاصة الحديث الأرسلاني أن العرب أمة واحدة وعظيمة بماضيها وبعددها، وأنها قد استيقظت من صباتها، واعتمدت على نفسها ورفعت السلاح للدفاع عن وجودها، ضد الذين يريدون استعبادها. وهو الرأي نفسه الذي يشاطر فيه الأستاذ عمار بلخوجة حينما يتطرق إلى الدور الريادي الذبي قامت به جمعية العلماء المسلمين بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس،

الذي كان قد سبق لهان شارك بحسب رواية للدكتور ابو القاسم سعد الله في النقاش حول هذه المسألة، حيث يرى شيخ العلماء المسلمين أنه " إذا حقق عرب المشرق الوحدة السياسية، فلا يمكن لأهل المغرب العربي إلا التوحد معهم دينيا ولغويا وثقافيا، أما سياسيا فلا تكون وحدة للمغرب العربي مع المشرق العربي إلا بعد الاستقلال"[19].وقد وضع الشيخ عبد الحميد بن باديس كما يقول الأستاذ عمار كما يقول في إحدى مقالاته الصحفية عام 1987 "معارفه وعقيدته ونشاطه من أجل بعث الشخصية الجزائرية، وإذكاء شعلة الإسلام الأصيل. وفي هذا، فإن تجديد المدرسة العصرية، كان الوسيلة التي أرست القواعد الكفيلة بأن تساعد على بروز رجال قادرين على التكفل بعد ذلك بالانشغالات الدينية للجموع الموضوعة بين مطرقة الغول الإستعماري وسندان إقطاعية غدارة"[20]. ينوه الأستاذ عمار بلخوجة بضرورة الإحتفاء بهذه الشخصية الوطنية من خلال الاهتمام بيوم العلم الموافق لـ : 16 أفريل من كل سنة، وتعريف الشباب بمآثر هذا العلامة، حتى يكون لدينا خير خلف لخير سلف.وفي مقاربة متميزة يفرد لنا صاحب المؤلف رؤية عنوانا بـ(دراما وتفرج)، حيث يقارن بين وثيقة القواعد الأساسية لعقيدة (جمعية العلماء المسلمين)، وبين العقيدة الأصولية ذي المنطلقات العنيفة التي تبناها حزب (الفيس) (F.I.S)، والتي عمدت إلى تدمير كل القيم الوطنية والثورية للشعب الجزائري في محاولة انتقامية، تهدف إلى تقويض دعائم الدولة الثورية، التي استشهد من أجلها مليون ونصف مليون شهيد.

وقد ضرب لنا الأستاذ عدة أمثلة عن الممارسات التي قام بها أولئك الخونة، من متابعات لدور الشباب والمراكز الثقافية في محاولة لاستئصال روح الأمة الجزائرية من جذورها التاريخية، حيث تم عمد أبناء الحركة الملتفين بعباءة الإسلام السياسي، إلى إقصاء المرأة الجزائرية من دورها الحضاري، بكل ما أوتي لديهم من وسائل، بحجج وفتاوي واهنة، ولعل العبارة الأخيرة من الفقرة الأولى من هذا المقال، خير دليل على تلك المؤامرة التي دبرت للمرأة الوطنية بنت الجزائر الحرة، يصف عمار بلخوجة ذلك الحصار المبرم حول أم الشهيد وبنت الشهيد، " لقد حرموا على أنفسهم السماح للمواطنات بالتماس مقابلة مسؤول ما. حجتهم في ذلك أن الرجل ضعيف، وأن إبليس يتربص للوقوع به في كل وقت، لكي يسلمه للإغراء الجسدي. كانت

الهلوسة الجنسية، مهيمنة على نقاش الوعاظ الجدد في المجتمع "[21].والكاتب هنا يدعو من خلال مقالته هذه الإطارات السابقة في الحركة الوطنية الجزائرية، الذين اختاروا النضال في التيار الديني لابن باديس، أن يتناولا الكلمة لوضع حد للمذابح ولكي يتصدوا اليوم بكل ما أوتي لديهم من قوة وعزم لأولئك الذين آرادو اغتيال الجزائر. ولابد علينا نحن الشباب من تكريس مبادئ القواعد الأساسية لعقيدة جمعية علماء المسلمين، التي أبرزها الكاتب في عشرين نقطة، والتي تدعو إلى إسلام معتدل، باعتباره دين البشرية بامتياز[22].

أما بالنسبة لوثيقة الميثاق الشمال – إفريقي (فيفري 1952)، المدون في إطار الوحدة المغاربية والكفاح المناهض للإستعمار من نجم شمال إفريقيا، إلى الجبهة من أجل الوحدة والعمل. فقد التزمت هذه الأحزاب بمواصلة وتكثيف من أجل تحرير شمال إفريقيا من كل نظام استعماري، لغرض تمكين بلدانها من أن تكون، في إطار ميثاق الأمم المتحدة، أنظمة دولة سيدة وديموقراطية. ويذكر الأستاذ عمار بلخوجة أن هذا الميثاق كان بحضور ورعاية وسلطة البشير الإبراهيمي، رئيس جمعية العلماء المسلمين[23].ومن أجل تحريك الروح الوطنية للشباب التيارتي (تيهرت)، يقدم الأستاذ مشهدا من مشاهد النشاط الوطني الذي عرفته المنطقة، في محاولة لإستنهاض تلك الروح التي بقيت متأججة في نفوس شباب التيارتي، والتي لا نشك في أن الرجل كان من خيرة أولئك الذين ساهموا في بعث النشاط الثوري في ولاية تيارت، وقد صادف أن استمعت الى الاستاذ لمآثر الشباب التيارتي في حصة إذاعية (لقناة الإذاعة المحلية)، كان قد نشطها بمناسبة أحداث 08 جانفي 1961 والتي بثت عبر الأثير في 08 جانفي 2017.

يشير الدكتور لجملة من الإحصائيات الرهيبة للبطالة والعوز الذي شهده مواطنوا ولاية تيارت منذ مطلع القرن العشرين، وقد أشار إلى مقال كان قد نشر في صحيفة الجمهورية للكاتب قايد أحمد بتاريخ: 04 أفريل 1952، " أن البطالة، والجهل والأكواخ، يعتبرون نتائج حتمية للبؤس الذي يرهق جموعنا "[24].

غير أن هذا الواقع المزري حسبه المؤلف لم يثني الشباب التيارتي عن الوقوف في وجه العدو المستعمر، حيث وقف مجموعة من الشباب الوطني من أجل اخراج بلدتهم من ربق الفقر

المدقع، والجهل المحدق بها، أين قاموا بتأسيس جمعية للبطالين، ففي يوم 23 ديسمبر 1952، اجتمع الشباب البطالون للدفاع عن حقهم في الحياة فقد أكد الشباب التيارتيون، على ان البطالة كانت آفة طال أمدها في هذا البلد، وقد نجم عنها نتائج بالغة الخطورة، في مدى متفاوت الاستعجال "[25].كما أشاد الكاتب بالمهمة الجمعوية التي قام بها السيد حبيب بلقيدوم، حينما أعاد التاريخ من جديد بتأسيسه لجمعية البطالين في ولاية تيارت سنة 1988. والتي يرى فيها صاحب الكتاب أنها سارت على النهج نفسه مع طموحات تلك الجمعية التي تأسست قبل أربعين سنة من ذلك[26].

ولم تقتصر النشاطات الجمعوية عند هذا الحد، وإنما تجاوزت ذلك إلى أنشطة سياسية وفكرية ساهم فيها جميع فئات الشعب، إذ لا ريب أن يشهد تاريخنا الحافل بكثير من التضحيات التي راح جراءها الألاف بل الملايين من شبابنا الأبي. ولعل الوقفات التي عرج عليها الكاتب لدليل على الثمن الباهض الذي دفعه الشعب الجزائري، لنيل حريته، فمن الوقفات التي يشير إليها الأستاذ عمار بلخوجة وهي عديدة شملت عدة جوانب اجتماعية وثقافية وسياسية، كأولئك الشهداء الذي وصفهم بشهداء العلم والمعرفة، والذي يذكر منهم البعض على سبيل الذكر لا على سبيل الحصر، شهداء سطح دار الطالب في فاس، يذكر الكاتب منهم "بلقندوز عبد القادر من تيارت، بن يعقوب عبد القادر من مغنية، عربي آيت ولد رحو من معسكر، صدوق أحمد بن عيسى من تنس وكذا غلام الله من تيارت، وجباري عبد القادر رئيس ودادية الجزائريين في فاس، وأصله من ندرومة "[27].

إنه لمن دواعي الفخر والسرور أن نجد كاتبنا يثابر من أجل إحياء روح الوطنية في جيل الشباب، فيعمد إلى بعث العديد من الموضوعات التي تهم المجتمع الجزائري إبان الإستعمار الفرنسي وحتى بعد تلك المرحلة المظلمة التي دخل فيها شعبنا نفقا طويلا من اللآ لم والمأساة، ولعل البعد الموسوعي الذي يظهر من خلال هذه المقالات الكثيرة التي تضمها جنبات هذا الكتاب، لخير دليل على اتساع أفق الكاتب في تحليل مختلف الجوانب المشكلة لبنية المجتمع من دين وثقافة وسياسة واقتصاد إلى غير ذلك... فهو لا يتوانى عن ذكر ظروف الحج إلى البقاع المقدسة أيام الإستعمار، والعراقيل التي وضعها هذا الأخير لطمس جوهر الدين الإسلامي، أو

في الجانب الإعلامي وكيف كان العمل الصحفي مفوضا عليه مراقبة صارمة، رغم أن الكفاح الثوري لم يكن فقط بالبندقية وإنما كان بالقلم كذلك.

كل هذا مضافا إليه تلك الجرائم الوحشية التي بقية من دون عقاب. إذ ستبتلع أفران الجير والحفر الجماعية ما يقارب (45000) شهيدا من كافة الأعمار، وحسب رأي المؤلف:" فإن (أورادور – سور فلان) منددد بهمن قبل ضمائر الإنسان، في غرب ميال دوما إلى التمييز بين الأموات. شهداء الثامن ماي 1945، مسجلون في خانة المنسين في تاريخ البشرية "[28]. ناهيك عن أقبية الموت أو ما يطلق عليها الأستاذ بغرف الغاز في حرب الجزائر، وقد تم تركيب شريط وثائقي يروي لنا هذه الجرائم من طرف المخرج عبد الرحمن مصطفى بناء على نص كان الأستاذ عمار بلخوجة قد حرره بنفسه، أما العمل فهو بعنوان (محارق الظهرة) أو (مدخنات الظهرة) والعمل التلفيزيوني يروي لنا أبشع الجرائم الأستعمارية على وجه البسيطة في القرن العشرين، أين قام بيليسي سنة 1845 بإبادة قبيلة كاملة هي قبيلة أولاد رياح[29]. موضوعات أخرى تناولها هذا المؤرخ الموسوعي، نذكر منها: من بيجو إلى بيجار (جرائم ومجرمون)،بن يوسف بن خدة حقائق في شأن عبان رمضان، أرضية مؤتمر الصومام، فشل الجنرال دوغول، طفولة بؤس الشبيبة والحركة الوطنية، كتابة التاريخ، معاداة السامية، إضراب الثمانية أيام جانفي فيفري 1957، مذبحة 05 جويلية 1961، التنظيم الإدراي الاستعماري، وغيرها من الموضوعات التي تناولها هذا الكاتب الصحفي في باقي مؤلفاته.

خاتمة

في الأخير يمكن الإعتراف بأن السيد عمار بلخوجة رجل فذ من رجال هذا الوطن الأغر، لم يتواني قيد أنملة في حمل قلمه للدفاع عن هذا الوطن العزيز، فراح بكل تواضع معرفي وأخلاقي يهز الكيان الشبابي للجزائريين لاستنهاض تلك الروح الوطنية التي يحاول كثير من المتآمرين إطفاءها عنوة، وبشتى السبل، والحقيقة أنني تشرفت بمعرفة الرجل عن قرب، بوساطة عميد كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، عندما كنت مكلفا برئاسة قسم التاريخ، بجامعة ابن خلدون – تيارت – وقد لمست في هذه الشخصية قيما وطنية نضاخة، تجعل منه رجلا نزيها إلى أبعد الحدود، فكم نحن بحاجة إلى مثل هؤلاء الرجال الوطنيين.

هوامش الدراسة:

[1]- بلخوجة عمار، **صفحات من ذاكرة التاريخ**، تر: أحمد بن محمد بكلي، تق: كمال بوشامة، منشورات ألفا ، الجزائر، ط 01، 2015، ص 06

[2]- المصدر نفسه، ص 06.

[3]- يقول الأستاذ عمار بلخوجة : (لقد جند الاجتياح الفرنسي، تحت قيادة الجنرال دو برمون، تعدادا من المقاتلين وصل إلى (34.184) رجلا، وعددا من غير المقاتلين بلغ (3.389) رجلا وكمية هائلة من عتاد الحرب، ومن التجهيزات المرافقة). ينظر: المصدر نفسه، ص 09 - 21.

[4]- المصدر نفسه، ص 21.

[5]– سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج 04، ط 01، 1996، ص 22.

[*]– الكونت دي بورمون كان وزيرا للحربية في عهد شارل العاشر، وتولى قيادة الحملة الفرنسية، وقد عزل بعد اقل من شهر من احتلال مدينة الجزائر. لأن انقلابا حدث في فرنسا أطاح بعرش شارل العاشر، وجاء بالملك لويس فيليب يوليو 1830. ينظر: المرجع نفسه، ص 23.

[6]- بدوي عبد الرحمن، **موسوعة المستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط 03، 1993، ص 64.

[7]– المرجع نفسه، ص 97.

[8]- كان الاستاذ ماسكيريه أستاذ التاريخ يدير مدرسة ليسيه بالجزائر، وقد قام هذا الاخير بأبحاث في إقليم المزاب (جنوبي الجزائر) وكتب عن اعماله في الجزائر كتابا بعنوان (ذكريات ومشاهد في إفريقيا)، سافرإلى ليون، ثم عاد للجزائر ليدرس الفلسفة في ثانوية البليدة عام 1895. ثم استاذا جامعيا بمعهد الآداب في الجزائر عام 1899. كان من بين اهتماماته حول القضايا المحلية في الجزائر، كتاب (المسألة الخاصة بسكان الجزائر الأصليين والمسلمون الفرنسيون (كذا) في شمالي إفريقية)، وكتاب (قضية ماجريت أمام محكمة الجنايات في محافظة الهيرو، تأليف كاميل برونال، وكتاب آخر هو كتاب: المسلمون الفرنسيون في شمالي إفريقية ن تاليف اسماعيل حامد. وكان قد نشر هذا المقال في (مطبعة الجمعية الجغرافية في الجزائر وشمالي إفريقية). ينظر: بدوي عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص 195.

[9]- المرجع نفسه، ص 253.

[10]- بلخوجة عمار، **صفحات من تاريخ الجزائر**، المصدر السابق، ص 23.

[11]- يقول عمار بلخوجة: (يعتبر الأمير عبد القادر من أنصار الحلول السلمية، غير أنه معروف أيضا بحزمه وصرامة قرارته. فقد حطم التحالف الإقطاعي (في الغرب الوهراني) في معركة جرت في محاريس يوم 12 جويلية 1834، مني أعوان الجيش الفرنسي بهزيمة نكراء، لم يكن لتلك " الخيم الكبيرة " أي حس بالوطن ولا بالدولة الوطنية، بل يضعون أنفسهم دوما في صف المنتصر، لأنهم كانوا يرون في فرنسا قوة لا تقهر، ولغيرتهم من قائد شاب قد فرض نفسه ميدانيا، بمثل تلك السرعة. ينظر: المصدر نفسه، ص 24.

[12]- بلخوجة عمار، المرجع السابق، ص 28.

[13]- المصدر نفسه، ص 29.

[*]- ولد شكيب أرسلان في بلدة الشوف بلبنان في 25 ديسمبر 1869، وبعد عمر طويل في النشاط السياسي و القومي و الأدبي توفي في بيروت في 09 ديسمبر 1946. وكان قد تعلم في بيروت، ومن شيوخه فيها الشيخ محمد عبده أثناء نفيه سنة 1886. تولى عدة وظائف إدارية في الشام أثناء الحكم العثماني، وشارك في حرب طرابلس ضد إيطاليا غلى جانب بعض زعماء لجنة الاتحاد و الترقي من أمثال أنور باشا، وكان من أنصار الاتحاد بين العرب والأتراك، وانتخب للبرلمان العثماني، ودعم

موقف تركيا خلال الحرب الحرب العالمية، ولكنه اختلف مع سياسة جمال باشا (السفاح). وصفه الطيب العقبي في بيتين شهيرين:

رســـم صغير الحجم لكنه شـــكل (أبي غالب) الأكبر
ذكرنـــــــي لما بدا قولهم لـــــــــيس على الله بمستكثر

ينظر: سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في التاريخ**، المرجع السابق، ص 115 – 122.

[14]- سعد الله أبو القاسم، المرجع نفسه، ص 114 – 115.

[15]- بلخوجة عمار، **صفحات من التاريخ**، المصدر السابق، ص59.

[16]- المصدر نفسه ، ص 69.

[17]- المصدر نفسه، ص 79.

[18]- سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص 129.

[19]- المرجع نفسه، ص 131. وأيضا: بلخوجة عمار، المصدر السابق، ص 84.

[20]- بلخوجة عمار، المصدر نفسه، ص 84.

[21]- المصدر نفسه، ص 87.

[22]- يمكن الرجوع إلى المؤلف للاطلاع على هذه الوثيقة، والتأمل في النقطة عشرون التي يرى صاحب الدرااسة أنها تنبؤ بحق، ودعوة سارية الآن، وجهها عبد الحميد بن باديس، للجزائريين بعد خمسين سنة من تحرير هذه الوثيقة. ينظر: المصدر نفسه، ص 93.

[23]- استند الأستاذ عمار بلخوجة في تخريج هذا الميثاق، بناء على المصدر التالي: (La République algérienne) رقم 297 الصادرة يوم 14 مارس 1952 – نشرية إ. د. ب. ج –. ينظر: بلخوجة عمار، المصدر السابق، ص 104.

[24]- المصدر نفسه، ص 107.

[25]- المصدر نفسه، ص 109.

[26]- المصدر نفسه، ص 108 – 109.

[27]- المصدر نفسه، ص 126.

[28]- المصدر نفسه، 145.

[29]- المصدر نفسه، ص 157.